أثر الدين في السياسةفي الدولة الساسانية(٢٢٤-٦٥١م)

الدكتورنايف المتيوتي*

لعبت المعتقدات الدينية دوراً كبيراً لدى الامم والشعوب عبر مراحل التاريخ وحتى الوقت الحاضر لما للاديان من سلطة روحية وفكرية على الناس بشكل عام وكذلك لحاجة الناس الى ضرورة الايمان باله او مجموعة الهة للاستعانة بها لدرء المخاطر والكوارث التي قد تحل بهم ولخوفهم الدائم من المجهول، ومن هنا كان للمعتقدات الدينية دور كبير في توجيه سياسة الدول الداخلية والخارجية وفي علاقة افراد المجتمع فيما بينهم، والدولة الفارسية هي من اكثر الدول التي كان للمعتقدات الدينية دور بارز في التأثير على الجانب السياسي لهذه الدولة ولاسيما في مجال حق الملك الالهي والدور السياسي لرجال الدين.

أولاً: حق الملك الالهي:

اعتقد ملوك الفرس بان سلطتهم مستمدة من سلطة الاله وان احقيتهم بالملك على غيرهم هي احقية مقدسة من ضمن تعاليم دينهم واستطاعوا اقناع رعيتهم بهذه الفكرة التي لم يكن احد ليعارضها او يعترض عليها.

ويعد الملك عند الفرس القدماء اقرب المخلوقات من الاله، اذ انهم عندما كانوا يتحدثون اليه لا يذكرون اسمه بل يطلقون عليه بعض الالقاب التي تؤكد قدسيته مثل(انتم الآلهة) او(قداستكم)، وهو عندهم العظيم الاول(مردان بهلم)[١].

وكان الملك مصدر القوانين والشرائع وإرادته هي القانون، واشتهر الفرس بالتمسك بالقوانين التي يصدرها الملك لانها في نظرهم مستوحاة من الاله(اهورامزدا)[٢]، كما كان الملوك الفرس يتباهون بمساعدة اهورامزدا او تأييده

---

* مدرس . قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل.

(١) مجموعة من المستشرقين،تراث فارس،ترجمة:محمد عبد السلام كفافي واخرون،مراجعة:يحيى الخشاب،دار احياء الكتب العربية(القاهرة:١٩٥٩)،ص١٢.

(٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، شركة الطباعة والتجارة المحدودة(بغداد:١٩٥٦)،ج٢،ص٤٣١؛محمد ابو المحاسن عصفور، معالم حضارات الشرق

لهم، جاء على لسان دارا الملك الاخميني " ساعدني اهورامزدا لأني لم أكن شريراً ولا كذاباً، ولم اكن ظالماً لا انا ولا احد من اسرتي، وقد حكمت بالعدل والحق"[١].

وكان ملوك الفرس وعامتهم يؤمنون بأسطورة(الجلالة)، وهي فكرة ازلية ومقدسة والملك بأمس الحاجة اليها لانها تعد سلطة سماوية تجعل العالم بأسره تحت سطوة الملك، فضلا عن ذلك اذا عدمها قلت جدارته في الملك و احقيته به، وعجز عن البقاء طويلاً في مكانته[٢].

وهذا النص من الافستا[٣] يتحدث عن اسطورة الجلالة: " نحن نحي جلالة الحكام التي من خلق مزدا، فهي تمتاز على كل المخلوقات، وهي ممدوحة وقديرة ومقدسة، وقد تبعت(هوشيانها) اول الملوك في حياته الطويلة فكان تحت أمرته كل من في الارض من شيطان وانسان وساحر وساحرة، وقضى على الشياطين في(فارنديان) وعلى سلاسة الكذب في(فارنيا) وهي التي تبعت(ييما) الامير صاحب القطعان، فكان تحت حكمه كل من في الارض من شيطان وانسان وساحر وساحرة، وهي التي ثبت بها امام الشياطين ونال بها الملك، ولم ينضب القوت في مملكته ولم ينقص الماء، وكتب الخلود للانسان والحيوان فلا هرم ولا

الادنى القديم، دار النهضة العربية(بيروت:١٩٨١)،ص٢٦٧.واهورامزدا:هواله الخير الخير عند الزردشتية ويقابله اهريمان اله الشر.

[١] جيمس هنري برستد:العصور القديمة،ترجمة:داؤد قربان،المطبعة الامريكانية(بيروت:١٩٢٦)،ص ١٤٩.

[٢] حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك،المكتبة الانجلو المصرية(القاهرة:١٩٧١)،ص٣٧٦؛احمد كمال الدين حلمي،٣٥٠٠ عام من عمر ايران، مؤسسة علي جراح الصباح(الكويت:١٩٧٩)، ص ٢٢٤.

[٣] الافستا: الكتاب المقدس عند الزردشتية ويتكون من خمسة اجزاء(اليسنا، الفسبرد، الفنديداد، اليشتات، خرادافستا).للمزيد من المعلومات عن الافستا انظر:امين عبد الجبار بدوي:القصة في الادب الفارسي، دار المعارف(القاهرة:١٩٦٤)،ص٣٣ . ٣٥.

Edward G.Brown , A literary History of Persia(Cambridge: 1964) vol. 1 , .p.99 – 101

هجير ولا حمام ولا تحاسد من نزغات الشياطين، حتى اتى وقت ارتضى فيه القول الكاذب، فشوهدت الجلالة وهي تفر منه الى جسد طائر فلما لم يرها بعد ذلك انخلع قلبه رعباً وفر الى أعدائه وهام على وجهه في الارض الواسعة "[١].

وهذه الجلالة قد تتجسد بأشكال معينة كان تكون على شكل طائر، او على شكل غير مألوف ومرة تغوص في الماء، او قد تختفي عن الانظار أصلاً[٢]، وتعرف الجلالة في الفارسية القديمة بـ(Vareno) ومن هذا الاسم اشتقت كلمتا(فور) و(فر) بمعنى النور والهالة[٣] وجاء في اليشت . احد اجزاء الافستا . ان جمشيد . احد ملوك الفرس في العهد الاسطوري . انما ملك القطعان وبسط سلطانه على سبعة اقاليم، وحكم الانس والجن بفضل هذه الجلالة، ولما اراد افراسياب ملك الترك ان يمتلكها وكانت موجودة في قاع البحر نزع ثيابه ونزل البحر، الا ان الجلالة هربت، وعجز عن اللحاق بها، فخرج مغاضبا ومعترفا بهزيمته امامها وهذا يعني انها كانت خاصة بالايرانيين وحدهم[٤] !!.

الا ان جمشيد طغى بعد ذلك وبدأ يحبذ الكذب ويعمل الباطل ففارقته الجلالة وشوهدت تفر منه على صورة طائر، فزلزل ملكه وأذله اعداؤه، واول من خرج عليه اخوه اسفور[٥]، وكذلك فان الجلالة تبقى مع الملك القوي وتفارق الملك الضعيف، فعلى الملك ان يواجه الصعوبات والكوارث الطبيعية التي تحل بشعبه وان لا يكون ملكا عاجزاً فمثلاً اذا حل في البلاد قحط وعجز الملك من ان يضع له حدا او لم يعرف له علاجاً فهذا الملك لا يستطيع ان يجابه الشر وهو بالتالي ملك عاجز

---

[١] نقلاً عن:احمد كمال الدين حلمي،٣٥٠٠عام من عمر ايران،ص٢٢٤.٢٢٥.

[٢] حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، ص٣٧٦؛ احمد كمال الدين حلمي، المرجع نفسه، ص ٢٢٤.

[٣] احمد كمال الدين حلمي، المرجع نفسه، ص ٢٢٤.

[٤] حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، ص ٣٧٦.

[٥] ابو القاسم محمد الفردوسي، الشاهنامة، ترجمة:الفتح بن علي البنداري،تصحيح وتعليق:عبد الوهاب عزام،دار احياء الكتب المصرية(القاهرة:١٩٣٢)،ج١،هامش ص ٢٣.

علـى ان يحكـم بالعـدل والحـق، فالجلالـة سـوف تفارقـه وينبغـي ان لا يسـتمر بالحكم[١].

كما ادعى ملوك الفرس ان الدم الذي يجري في اجسادهم دم الاهي، وان في طبيعتهم عناصر علوية مقدسة، وصدق عامة الفرس هذا الادعاء وعاملوا ملوكهم معاملة الالهة وقدموا لهم القرابين في بعض الاحيان[٢] وقد وجد في احد الالواح التي امر دارا بنقشها بعض العبارات التي تبين سلطة الملك المقدسة " ان اهورامزدا اله عظيم خلق هذه الارض، وخلق من فوقها السماء، وخلق الانسان، وخلق له السعادة، وجعل دارا ملكا واحدا لكثيرين وسيدا واحدا لكثيرين "[٣].

وعند قيام الدولة الساسانية(٢٢٤م) كان الدين اكبر شيء أستأثر بعناية اردشير بن بابك مؤسس الدولة(٢٢٤ . ٢٤٠م) فوجد ان الديانة الزردشتية قد اضمحل شأنها وتلاشت نوعاً ما اثناء فترة حكم البارثيين(٢٤٧ق.م . ٢٢٤م) فعمد الى احياء هذه الديانة بكل وسيلة لأنه ؛ اصل ينتمي الى عائلة دينية زردشتية فجده ساسان كان سادناً لاحد بيوت النار، فحطم الاصنام وبنى بيوت النيران، وجمع تعاليم زردشت في مجلد واحد ليكون المرجع المعتمد في الشؤون الدينية، ويجب على الجميع الانصياع له[٤].

ولما جلس اردشير على سرير الملك ولبس التاج واذن للخاص والعام فحيوه بالشاهنشاهية ودعوا له قال لهم: " لقد انزل الاله الرحمة وجمع الكلمة واتم النعمة واستخلفني على عباده وبلاده لأتدارك امر الدين والملك – اللذين هما أخوان

---

[١] ارثر كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام، وزارة التربية والتعليم(القاهرة: ١٩٥٧)، ص ٢٤٩.

[٢] احمد شلبي، مقارنة الاديان(الاسلام)،مكتبة النهضة العربية(بيروت:١٩٧٠)،ص ٤٢.

[٣] محمد عبد السلام كفافي، في ادب الفرس وحضارتهم، دار النهضة العربية(بيروت:١٩٧٠)، ص ١٣٨.

[٤] عهد اردشير، تحقيق:احسان عباس،دار صادر(بيروت:١٩٦٧)،ص١٠.

توأمان– واقيم رسوم العدل والاحسان "[١] وفي بعض النقوش الموجودة بالقرب من اصطخر يظهر اردشير وهو يستلم سلطته من الاله اهورامزدا، وكذلك وجد على نقوده عبارة(خادم مزدا)[٢].

وهذا يعني ان الدولة الساسانية قامت على اساس ديني رصين . هو الدين الزردشتي . فأصبح الدين والملك شيئاً واحداً، ويظن ذلك بشكل واضح في نصيحة اردشير لابنه سابور[٣]:

نه بي شاهي بود دين بباي — نه بي دين بودشهرياري بجاي
دو بنياد يك بردكر باختة — بر آورده بيش خرد تافه
ته ازبا دشابي نيازست دين — نه بي دين بود شاهرا آفرين
جنان باسبان يكد يكر ند — تو كوئي له در زيريك جادرند
نه آن زين زنه آين زآن بودبي ياز — دو انبازديد يمشان نيك ساز

ومعنى هذه الابيات:

لا قيام للدين بغير الملك، ولا بقاء للملك بغير الدين.

فكلا الاسين قائم على الآخر،ومتماسكان بأحكام في نظر العقل.

فلا الدين بمستغن عن السلطان،ولا تمجيد للسلطان بغير الدين.

فكلاهما حارس للآخر، وكأنهما تحت خيمة واحدة.

فلا غنى لذلك عن هذا ولا غنى لهذا عن ذلك، وقد شهدناهما شريكين على خير وفاق.

والفلسفة التي تستند عليها هذه الفكرة انه لما كانت ان القوة الملكية تستند الى الدين وان الدين يساند ويحمى من قبل الملك فأن العدالة ستنشر بين كافة افراد

---

[١] عهد اردشير، ص ٩٧.

[٢] اسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف(بيروت: ١٩٥٥)، ج١، ص ٤٤ . ٤٥.

[٣] امين عبد الجبار بدوي، القصة في الادب الفارسي، ص ٦٠ . ٦١.

المجتمع الذين سيتحررون من الخوف ويتمتعون بحياة جيدة، وسوف تزدهر الدولة، وتتقدم العلوم جميعها ولاسيما في جوانبها الثقافية[١].

ولأردشير كتاب يعرف بكتاب(الكارنامج) يضم اخباره وحروبه وسيرته وفيه بعض الوصايا لأبنه سابور أيضاً: يا بني ان الدين والملك اخوان لا غنى لواحد منهما عن صاحبه فالدين اساس الملك والملك حارسه، و مالم يكن له اساس فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع "[٢] وكان اردشير يكثر من استخدام الالقاب الدينية عندما يخاطب الاخرين، فنقرأ في اول كتابه الذي ارسله الى ملوك الطوائف عند استئثاره بالحكم " من اردشير بن بابك المستأثر دونه المغلوب على تراث ابائه، الداعي الى الاله، المستنصر به، فأنه وعد المظلوم بالظفر والعاقبة، سلام عليكم بقدر ما تستوجبون من معرفة الحق وانكار الباطل والجور... "[٣].

ويبدو ان استخدام الالقاب المقدسة اصبح امراً متبعاً لدى الملوك الساسانيين فيما بعد فضلاً عن انهم كانوا يطلقون على انفسهم دائماً عباد مزدا(مزدا يسن)، وكان هناك لكل ملك القاب ضخمة خاصة به وحده، " فسابور الاول اطلق على نفسه ملك الملوك، قرين النجوم، اخ الشمس والقمر، وكسرى الاول اطلق على نفسه الاله، الطيب، المقدس، الورع ، المخلوق على صورة الالهة، وكسرى الثاني اطلق على نفسه الرجل الخالد بين الالهة، الاله العظيم جداً بين الرجال"[٤].

وقد ترسخت هذه المعايير بين افراد المجتمع الفارسي بحيث اصبح احساس لدى الجميع بأن الملك هو خليفة الاله في الارض الذي ينفذ شريعته، يقول كسرى انوشروان: " ان الاله انما خلق الملوك لتنفيذ مشيئته في خلقه ولإقامة مصالحها

---

(1)R.C.Zaehner, The Dawn and Twilight of Zoroastrianism ,(London:1961), P297.

[٢] ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي،مروج الذهب ومعادن الجوهر، تنقيح وتصحيح:شارل بلا، الجامعة اللبنانية(بيروت: ١٩٦٥)ج١،ص٢٨٩.

[٣] عهد اردشير، ص ١٠٩.

[٤] كريستنسن، ايران، ص ٢٤٧.

وحراستها فلذلك نقول بأنهم خلفاء الاله في ارضهم، ولمعنى اخر هو انه جعلهم امرين غير مأمورين وحاكمين غير محكوم عليهم ومستغنين غير محتاجين فأن حاجتهم الى الرعية انما هي لسبب الرعية ولصلاح شأنهم "[١].

وكان من اهم الاعمال التي قام بها الملوك الساسانين هي جمع نصوص الافستا التي كانت مبعثرة في فترة حكم ملوك الطوائف فأمر اردشير كبير موابذته(تنسر) بجمع كافة نصوص الافستا وتصنيفها، وبعد ان اكمل تنسر الجمع والتصنيف امره اردشير بأستنساخ عمله هذا في عدة نسخ وزعت على بيوت النار المهمة في ارجاء البلاد، وتابع سابور الاول هذا العمل واتمه بأن ادخل في هذا الكتاب اجزاء الافستا التي لا تتعلق بالدين، أي التي تبحث في الطب والتنجيم والعلوم الطبيعية الاخرى، الا ان الخلافات الدينية بين رجال الدين بقيت مستمرة فأمر سابور الثاني(٣٠٩. ٣٧٩م) بعقد مجمع مقدس برئاسة الموبذان موبذ حدد فيه الشكل النهائي للافستا وقسمها على احدى وعشرين فصلاً فأصبحت الكتاب المقدس للدولة والشريعة الرسمية لها[٢].

وبصورة عامة كان الملك الساساني ينظر الى الملوكية على انها وديعة لديه يحكم بها العباد، ولكونه على وفق هذا المنظور يملك العظمة الربانية ويستمد جلالته مباشرة من اهورامزدا فأنه كان يرى انه لا ارداة فوق ارادته، وان ذاته مصونة لا تمس، وان من حقه ان لا يختلط برعاياه اختلاطاً فعلياً، وان له صفة الرياسة على الطبقات كلها وبذلك ضمن حق الطاعة له من رعاياه كافة[٣].

فواجب الطاعة للملوك اصبح من ضمن اداء طقوس التعاليم الدينية، أي ان من لا يقوم به يؤثم ويعاقب، يقول زردشت: " من عصا الاله وخرج عن طاعة

---

[١] محمد محمدي،الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الاسلامية الاولى(كتاب التاج والآيين)،الجامعة اللبنانية(بيروت:١٩٦٤)،ص ١٠٤.

[٢] كريستنسن،ايران، ص ١٣٠ـ١٣١؛يحيى الخشاب،التقاء الحضارتين العربية والفارسية، المطبعة العالمية(القاهرة:١٩٧٠)، ص ٢٤.

[٣] الفردوسي، الشاهنامة، ج٢، ص ٢٠٣.

الملوك وجب نصحه ووعضه سنة فان لم يعد بعدها الى الطريق السوي وجب قتله بأمر الملك "[١].

وكان الغرض من ارساء هذه الفكرة في المجتمع هو منع أي تفكير معارض للملك داخل الدولة فمحاولة الخروج على الملك او الاساءة اليه ولو حتى باللسان فقط اثم كبير يوجب العقوبة " من خرج على الولاة فعقوبته اول الامر قطع اليدين من المعصم، وفي الثانية قطعهما من الذراع، وفي الثالثة قطعهما من الكتف، وفي الرابعة ضرب العنق، فان كان في خروجه على السلطان لم يجن شيئاً بيده ولكنه قال قولا مواجهة فقئت عيناه، فان كان سعى سعياً قطعت رجلاه "[٢].

ومن اقوال ادشير الاول في وجوب الطاعة وربطها بالعقيدة والايمان: " من اجترأ على ملك عادل فلا تسميه ذا دين، ومن يحقد عليه لا تسميه تقياً "[٣] وقال: " سعادة الرعية في طاعة الملوك، وسعادة الملوك في طاعة المالك"[٤] واذا كان الملك في بعض الاحيان يعفو ويتجاوز عن بعض المذنبين والمخالفين فأن هناك من لا يمكن التجاوز او العفو عنهم ويجب انزال اقصى العقوبات بهم، قال ابرويز: " ثلاثة لا يجوز للملك التجاوز عنهم ولا يفصح عن ذنوبهم، من قدح في ملكه، او افسد حرمه، او افشى سره "[٥].

ولا ينبغي للملك ان يبين لرجال الدين والنساك والعباد ان يكونوا اولى بالدين ولا احرص عليه ولا اغضب له منه، ولا ينبغي ان يدعهم بغير الامر والنهي لهم

---

[١] طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية،ار النهضة العربية(بيروت:١٩٧٣)، ص٣٨.

[٢] المطهر بن طاهر المقدسي،البدء والتاريخ،مطبعة برطند(شالون:١٩٠٣)،ج٤،ص٢٩.

[٣] الفردوسي، الشاهنامة، ج٢، هامش ص ٥٦.

[٤] عمرو بن بحر الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، تحقيق وتقديم، فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب(بيروت: ١٩٧٠)، ص ١١.

[٥] ابو حامد الغزالي،التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مكتبة الكليات الازهرية(القاهرة:١٩٦٨)، ص٨٠.

في نسكهم ويدنهم، فان خروجهم من الامر والنهي عيب على الملوك وعيب على المملكة[١].

وبسبب شعور ملوك الفرس بالافضلية على سائر الناس وبأنهم خصوا بحق الملك المستمد من الالهة دون سواهم من البشر فأنهم كانوا يتفردون بعدة اشياء لا يشاركهم فيها احد من رعاياهم مهما كانت درجته ليكون ذلك دليلاً على ارتفاع منزلتهم، فاذا تطيب الملك مثلاً كان على خاصته ان لا يتطيبوا لينفرد بالتطيب[٢] وكان اذا وضع التاج على رأسه لا يحق لاحد ان يضع تاجاً على رأسه حتى وان كان من الريحان، واذا لبس لبسة لا يحق لاحد ان يلبس مثله، واذا تختم بخاتم كان على اهل مملكته ان لا يختتموا بمثل ذلك الخاتم[٣].

واذا خاطبه احد من الناس يجب ان يضع على فمه منديلاً كي لا تمس انفاسه الملك، واذا احتجم الملك لا يجوز لاحد الاحتجام[٤] في ذلك اليوم[٥]، وكذلك اذا عطس الملك فلا يشمت، واذا دعا لا يؤمن على دعائه لانه اقرب المخلوقات الى الالهـ حسب زعمهم ـ واذا توفي احد من افراد عائلته لا يحق لاحد ان يعزيه من اهل بيته والمقربين له وعامة الناس، وجعلت التعزية فقط لمن لم يكن حاضر المصيبة من ذوي السلطان والنفوذ[٦].

وبالمقابل هناك شروط وصفات يجب ان تتوفر في الملك لكي يكون مؤهلاً لهذه القدسية، وقد حدد الدينكرد . وهو كاتب بهلوي كتب بعد زوال الدولة الساسانية

---

[١] عهد اردشير، ص ٥٧.

[٢] طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة، ص ٣٨.

[٣] الجاحظ، التاج، ص ٥٥.

[٤] الاحتجام: من الحجم أي ارتفاع اللحم بسبب الورم، فيخرج الحاجم(المعالج) الدم الفاسد عن طريق المص بفمه، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر(بيروت: ١٩٩٧)،ج١٢، ص ١١٧.

[٥] عبد المنعم رشاد محمد، محاضرات في التاريخ الساساني، دار الكتب(الموصل:١٩٩٦)، ص٣٣

[٦] الجاحظ، التاج، ص ٩٤.

. ما يجب ان يتصف به الملك وواجباته: " الصفات والواجبات التي تتصل بالدين والقيم، العقل السليم، الخلق القويم، القدرة على العفو، حب الرعية، القدرة على تهيئة الراحة للرعية، السرور، و التذكر الدائم بأن السلطة فانية، تقدير الاكفاء برفع درجاتهم، تنبيه الغافلين، حسن السلوك مع رؤساء الاقاليم، اصدار الاوامر العادلة، مراعاة عقد اجتماعات عامة في حضرته، الكرم، طرح الحرص، تأمين الناس من الخوف، مكفأة الطيبين بجعلهم مع رجال البلاط او برفع درجاتهم، العناية بتعين المديرين في الدولة، طاعة الاله طاعة تامة "[١].

الا ان المتتبع لسير الملوك الساسانيين يجد ان اكثر هذه الصفات كانت موجودة من الناحية النظرية فقط ولم تطبق على ارض الواقع !!.

ومهما يكن من امر فأن هذا يعني ان الملك لم يكن صاحب حقوق واوامر تنفذ فحسب بل كان عليه واجبات يجب الاضطلاع بها واهمها الحفاظ على الدين والعمل به،قال كسرى آنوشروان: " يجب عليهم –الملوك– ان يقووا اركان الدين وان يبينوا امر الفقه، فان الفقه هو القائد الى القول بالاخرة، ويجب عليهم ان يقيموا العدل الذي به صلاح الملك والمملكة، فأن العدل هو سبب عمارة المملكة والجور هو سبب الخراب والبوار "[٢].

كذلك يجب ان يكون الملك خالياً من العيوب الجسدية لكي يكون جديراً بالمكانة القدسية التي تجعله خليفة الاله في الارض، ولذلك كان بعض الملوك الساسانيين يسملون اعين من يخشون منافستهم من افراد اسرتهم او يقطعوا بعض اعضاء اجسادهم ليجعلوهم غير صالحين لارتقاء العرش[٣].

الا ان نظرية الحق الالهي المقدس قد تلاشت بعض الشيء في الفترة الاخيرة من حكم الساسانيين ولم تبق كما كانت عليه في العهود الاولى،اذ اصبح هنالك معارضين للملك من داخل الاسرة الحاكمة ومن خارجها، واصبح الملك معرضاً

---

[١] نقلاً عن كريستنسن، ايران، ص ٢٤٨.

[٢] محمد محمدي، الترجمة والنقل، ص ١٠٥.

[٣] كريستنسن، ايران، ص ٢٤٧.

للعزل والسجن او حتى القتل في بعض الاحيان، وحصلت عدة ثورات عدة معارضة داخل الدولة من اجل انتزاع الملك، فبعد وفاة يزدجرد بن بهرام(٤٥٧ م) توج ولده هرمز ملكاً على البلاد فعارض ذلك الابن الاخر فيروز وثار على اخيه هرمز ودارت بينهما حرب كبيرة قتل فيها خلق كثير من بينهم هرمز نفسه ومن وقف معه من افراد العائلة المالكة وانتزع فيروز الملك[١].

كما قام بهرام جور وهو احد القادة البارزين . من غير السلالة المالكة . بثورة كبيرة كان من نتائجها ان خلع الملك هرمز الرابع(٥٧٩ . ٥٩٠م) وسملت عيناه ثم قتل[٢] وغيرها كثير من الصراعات والمعارك الداخلية التي كان هدفها على العرش.

ومع ذلك بقيت الدولة الساسانية هي الدولة الوحيدة في بلاد ايران التي قامت على اساس ديني ولها دين رسمي يمثلها، وكان الملك الساساني يستمد قوته من كونه ممثلا للاله اهورامزدا وخليفته في الارض وما على الرعية الا السمع والطاعة كان ذلك يشبه الى حد بعيد ما عرف بنظرية الحق الالهي التي سادت في اوربا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد، ويعلق بروان على هذه المسألة بقوله: " لم تعتنق نظرية الحق الالهي بقوة كما اعتنقت في فارس في عهد الملوك الساسانيين "[٣].

ثانيا: الدور السياسي لرجال الدين:

ان قيام الدولة الساسانية على اساس ديني بحت انعكس بدوره على الحياة العامة للشعب الفارسي وبالتالي اصبح لرجال الدين الزردشتي الدور الاكبر في توجيه هذه الحياة في مختلف نواحيها فقد كان زردشت نفسه يشارك في توجيه السياسة للدولة في عهد الملك كشتاسب اذ كان المستشار الشخصي له[٤].

---

[١] المسعودي،مروج الذهب،ج١،ص٣٠٤ـ ٣٠٥؛ابو منصور عبد الملك الثعالبي،تاريخ غرر السير،مكتبة الاسدي(طهران:١٩٦٣)،ص٥٧٣. ٥٧٥.

[٢] المسعودي،مروج الذهب،ج١،٣١٤وما بعدها؛الثعالبي،تاريخ غرر السير،ص٦٦٠وما بعدها.

[٣] نقلاً عن احمد امين، فجر الاسلام،دار الكتاب العربي(بيروت:١٩٦٩)،ص١١١.

[٤] طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة، ص ٥٠.

وبمرور الوقت اصبح لرجال الدين الزردشتي المكانة المميزة بين افراد عامة الشعب وحتى في البلاط الملكي، بل ان ملوك الفرس انفسهم اصبحوا من تلاميذهم ولا يقدمون على امر مهم دون استشارتهم([١]، كما كان ملوك الدولة الساسانية يعتمدون على الموابذة(رجال الدين) في كسب التأييد الروحي لهم من بقية افراد المجتمع مما جعل هذه الدولة تعيش لفترة طويلة[٢].

وكان اهم دور اضطلع به رجال الدين في الدولة الساسانية هو تنصيب الملك الجديد، اذ ان اردشير مؤسس هذه الدولة لم يضع قاعدة محددة ومعينة واجبة الاتباع لاختيار من يخلفه على العرش لانه كان يعتقد ان الاوضاع في المستقبل سوف تتطور وتتغير "... فلسنا نمنع ان ينتهوا لغير ما رأينا فأنا لم نقف على علم الغيب ومن الجائز ان تجيء الايام على غير رأينا ويكون الخير في مخالفته "[٣].

فكان من رأيه ان يكتب الملك وصيته في ثلاث نسخ، يكتب فيها اسماء من يريد ان يرشحهم للحكم من ابنائه وميزة كل منهم، ويودع كل نسخة من هذه النسخ الثلاث لدى الموبذان موبذ(كبير الموابذة) وايران اصبهبذ(كبير الاصبهبذية . قادة الجيش) ودبيردبذ(كبير الكتاب) وبعد وفاة الملك يجتمع هؤلاء الثلاثة الكبار ثم يفضون الاختام عن الكتب الثلاثة ويتشاورون فيما بينهم حول من يلي العرش فاذا اتفق الثلاثة اعلن اسم الملك الجديد واذا انفرد الموبذان موبذ برأي مغاير، يؤجل الامر ولا يذاع منه شيء[٤].

ثم يعقد مجلس سري يحضره الهرابذة . الطبقة الثانية من رجال الدين - فيصلون صلاة جماعية ويسجدون ويرفعون ايديهم الى السماء ويبتهلون الى الاله ليوفقهم في اختيار الملك الجديد، وبعد الصلاة يؤمن الحاضرون بما اوحى الاله

---

[١] ول. ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود واخرون، دار الجيل(بيروت: ١٩٨٨)،ج٢، ص ٤٣٧.

[٢] توفيق سلطان اليوزبكي،تاريخ اهل الذمة في العراق،دار العلوم(الرياض:١٩٨٣)،ص٢٢١.

[٣] يحيى الخشاب،التقاء الحضارتين،ص١٢.

[٤] كريستنسن،ايران،ص١٥٠؛يحيى الخشاب، التقاء الحضارتين،ص١٢.

الى كبير الموابذة، وفي مساء هذه الليلة يضعون تاج الملك والكرسي في قاعة العرش ويجلس الوزراء وكبار القادة واصحاب المراتب حسب منازلهم، ثم يدخل الموابذان موبذ ومعه الموابذة والهرابذة الى مجلس امراء الاسرة الحاكمة فيصطفون امام الامراء ويقولون: " لقد تشاورنا امام الاله الاعلى فأرشدنا والهمنا وهدانا الى الخير ثم يعلن كبير الموابذة بصوت عال اسم الملك الجديد ويطلب من الحاضرين مبايعته، ثم يأخذ بيده ويجلسه على العرش ويضع التاج على رأسه "[١].

وبذلك يكون لرجال الدين دور كبير في توجيه سياسة الدولة الساسانية لان الملك يشعر انه مدين لكبير الموابذة بتوليته العرش[٢]، وهكذا سيطر رجال الدين بصورة تدريجية على الملك، بل ان سلطتهم في بعض الاحيان كانت تفوق سلطة الملك نفسه، ولهذا نلاحظ ان الملوك الساسانيين ما ان تأتيهم فرصة للتخلص من سيطرة رجال الدين الا اغتنموها حتى وان كانت نتائجها خطرة.

واول من اراد الحد من سلطة رجال الدين هو سابور الاول(٢٤٢- ٢٧٢ م) اذ ايد ماني[٣] واتباعه وفسح لهم المجال بحرية التبشير بدينهم داخل حدود الدولة[٤] وتطورت العلاقة بين ماني وسابور اذ ان ماني اهدى احد كتبه له

---

(١) كريستنسن،م.ن،ص١٥٠ . ١٥١ ؛يحيى الخشاب،م.ن،ص١٢.

(٢) عبد المنعم رشاد محمد، محاضرات، ص ٣٨.

(٣) ماني:هو مؤسس الديانة المانوية ظهر ايام سابور الاول واراد ان يجمع العالم تحت لواء دين واحد فدرس اديان عصره(الزردشتية، البوذية، الصابئة، المسيحية)، وكون منها ديانته الجديدة التي دعا اليها الا ان رجال الزردشتي دبروا له مكيدة واستطاعوا القضاء عليه بامر الملك. للمزيد عن حياته انظر: كريستنسن،ايران،ص١٧١/١٧٢؛ J.R. Ort ani(Leyden: 1967) , P. 211 ff.

(٤) احمد بن ابي جعفر بن يعقوب اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي، تقديم:محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية(النجف:١٣٨٤هـ)،ج١،ص١٤.

وسماه(شابورقان) تيمنا بأسم الملك[١] واستمر سابور مؤيداً لماني لاكثر من عشر سنين وامام ضغط رجال الدين الزردشتي تخلى عن تأييده له ولكن بعد ان عمت تعاليمه ارجاء الدولة الساسانية[٢].

وبعد وفاة سابور الاول واستلام هرمز الاول السلطة في البلاد مال بدوره الى المانوية وفسح لهم المجال في نشر تعاليمهم، ولكنه توفي بعد سنة واحدة من حكمه[٣] وعلى الاغلب كان رجال الدين الزردشتي وراء وفاته المبكرة ؛ لانهم عند تتويجه بعد وفاة والده كانوا يظنون انه سيقف الى جانبهم ويقضي على المانوية، ولكنه خيب امالهم، فرحب بماني واتباعه وسمح لهم بنشر تعاليمهم على حساب الدين الزردشتي.

وعندما تولى بهرام الاول العرش(٢٧٤ . ٢٧٧م) كان حدث السن مشغوفاً بالملذات والملاهي وبالتالي اصبح لرجال الدين الزردشتي مجالاً واسعاً في توجيه سياسة الدولة فحرضوه على ماني واتباعه، فأحضره وطلب منه مناظرت رجال الدين الزردشتي وانتهت هذه المناظرة بالتخلص من ماني وعادت السيطرة لرجال الدين الزردشتي في البلاط الساساني[٤].

وعندما ظهر مزدك ايام قباذ الاول(٤٨٨ . ٥٣١م) ونادى بأشتراك الناس في النساء والاموال وخالف في ذلك تعاليم الزردشتية، اتبعه خلق كثير من الطبقات

---

(١) غياث الدين بن همام الدين خواندمير، تاريخ حبيب السير في اخبار افراد البشر،مطبعة الحيدري(طهران:١٣٣٣هـ.ش/١٩٥٥م)،مج١،ص٧٧؛طه باقر واخرون، تاريخ ايران القديم، جامعة بغداد(بغداد:١٩٨٠)،ص ٢٢٥.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ١٤٠.

(3) ORT , Mani , P. 212 ; Sir Percy Sykes , A history of Persia ,(London: 1930) , VOL , 1 , P. 405.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،ج١، ص١٤٠؛محمد بن جرير الطبري،تاريخ الرسل والملوك، تحقيق:محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف(القاهرة: ١٩٨٧)،ج٢، ص٥٣ ؛الثعالبي،تاريخ غرر السير،ص٥٠٢.

الدنيا في المجتمع الساساني، ولكن الامر الخطير في ذلك هو اتباع الملك قباذ لمزدك وتأييده له ومنحه الحماية[١].

ويبدو ان الغرض من اقدام قباذ على مثل هذه الخطوة هو الحد من سلطة طبقتي رجال الدين والنبلاء وضرب مصالحهما، اذ كانت هاتان الطبقتان اغنى طبقات المجتمع الفارسي وتمتلكان اغلب الاراضي والاقطاعات الزراعية في الدولة، وان تطبيق الاراء المزدكية يقتضي تفتيت وتوزيع هذه الممتلكات والاموال وبالتالي يحد من نفوذ هاتين الطبقتين.

ولهذا اصبح هناك تحالف قوي بين رجال الدين والنبلاء الذين وجدوا ان مكانتهم معرضة للخطر[٢]، فقاموا بثورة داخل القصر الملكي سنة ٤٩٧م وعزلوا قباذ وادخلوه السجن، وعينوا محله اخاه جاماسب الذي كان ضعيفاً لا يقوى على ادارة البلاد فعاد سيطرتهم على البلاط الساساني مرة اخرة[٣].

وبعد عودة قباذ . الذي هرب الى الهياطلة وحصل على مساعدتهم . سنة ٤٩٩م غير سياسته تجاه المزدكية ورضخ لارادة رجال الدين الزردشتي حتى انه لما اراد تعين وريث للعرش من بعده اختار ابنه كسرى انوشروان المؤيد لرجال الدين الزردشتي واستبعد ابنه الاكبر كاووس ذو الميول المزدكية[٤]، فقام انوشروان بالقضاء على مزدك واتباعه ورد الاموال الى اصحابها واصلح الاوضاع الاجتماعية، فأصبح في نظر رجال الدين الزردشتي الملك المتدين الذي اعاد لدين

---

(١) ابو الرياحين محمد بن احمد البيروني،الاثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق:ادورد سخاو،(ليبزك:١٩٢٣)،ص٢٠٩؛عز الدين بن الاثير،الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت(بيروت:١٩٦٥)،ج١، ص٤٦٣.

(٢) سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الادنى القديم،وزارة التعليم العالي(بغداد:د.ت)،ص١٦١.

(٣) كريستنسن،ايران، ص٣٣٤؛ Encyclopaedia Britannica.(U.S.A: 1966) , VOL. 15 , P. 19.

(٤) كريستنسن، ايران، ص ٣٣٩ . ٣٤٠ ؛ S Sykes , Ahistory of Persia , VOL. 1, P. 443.

زردشت مكانته واحيا تعاليمه وسننه الى اعتاد الناس ممارستها قروناً عديدة، وكل ذلك كان له الاثر الكبير في نفوس رجال الدين[١].

اما على صعيد السياسة الخارجية فقد كان لرجال الدين دور كبير ،فمنذ عهد زردشت بدأوا بتوجيه سياسة الدولة الخارجية وفقاً لما تقتضيه مصلحة ديانتهم، اذ استطاع زردشت اقناع كتشاسب . بعد ان اتبعه . بنقض الصلح مع ملك الترك، لانه اراد من كشتاسب ان يترك دين زردشت ويعود الى دين ابائه، ولكن كشتاسب رفض ذلك بتأثر زردشت الذي الذي اقنعه بمحاربة ملك الترك مؤكداً له انه عين له طالعاً وسينتصر في هذه الحرب، فحدثت حرب كبيرة بين الطرفين اشترك فيها زردشت نفسه وانتصر الفرس أنتصاراً كبيراً فعظم امر زردشت[٢]، واصدر ملك الفرس امراً بأطلاق سراح كل من يعتنق الزردشتية من اسرى الترك[٣].

كما ان الفرس تزعم ان زردشت تنبأ بزوال ملك الفرس وعودته اليهم اذ قال لكشتاسب: " ان الملك يزول عن الفرس الى الروم واليونانية ثم يعود الى الفرس ثم يزول عن الفرس الى العرب ثم يعود الى الفرس لتمام الف وخمسمائة سنة !! "[٤].

ويبدو ان هذه الرواية من روايات الدس الشعوبي التي ظهرت بعد سقوط دولة الفرس على ايدي العرب المسلمين من اجل ابقاء الامل لدى من لم يصح اسلامه من الفرس بأن الملك سيعود اليهم بعد حين.

وفي الفترة الساسانية كان رجال الدين الزردشتي شديدي التعصب لدينهم وكانوا يخشون من اصحاب الديانات الاخرى ولاسيما التبشيرية منها لان الديانة الزردشتية كانت ديانة مغلقة، ولكن رجال الدين الزردشتي افادوا من اعتماد الملوك الساسانيين ديانتهم الديانة الرسمية في الدولة، ففرضوا تعاليمهم على المجتمع عن

---

[١] محمد محمدي، الترجمة والنقل، ص ٣٠.

[٢] الفردوسي، الشاهنامة، ج١، ص ٢٦ وما بعدها ؛ ابن الاثير، الكامل، ج١، ص ٢٧٣ . ٢٧٤.

[٣] حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، ص ٣٨٩.

[٤] عبد القاهر بن طاهر البغدادي،الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، دار الافاق الجديدة(بيروت:١٩٧٣)،ص٢٧١.

طريق السلطة والاكراه وليس عن طريق الاقناع والتبشير، ولهذا جابهوا بقوة المعتقدات التبشيرية التي ظهرت في بلادهم كالمانوية والمزدكية، اما الديانة اليهودية فلم تشكل أي خطر عليهم لانها ديانة مغلقة غير تبشيرية[١].

اما بالنسبة للديانة المسيحية فكان الموقف يختلف من فترة لاخرى فهي ديانة تبشيرية كانت تنتشر بين الطبقات الفقيرة من المجتمع الساساني، ولم يحاول اتباعها الحصول على مناصب سياسية في الدولة او الاحتكاك بسلطة رجال الدين الزردشتي، ولهذا لم يتعرض المسيحيون القاطنون في الدولة الساسانية لاضطهادات تذكر طالما كانت الامبراطورية الرومانية تدين بالوثنية كدين رسمي لها، ولكن ما ان صدر مرسوم ميلان سنة(٣١٣ م) الذي اعترف به قسطنطين الكبير بالمسيحية واعتنقها ومنح الحرية للقساوسة في التبشير بها واسبغ الحماية عليهم حتى تغير موقف الفرس من المسيحيين الموجودين في دولتهم[٢].

فكان اول من بدأ التضييق عليهم سابور الثاني(٣٠٩- ٣٧٩م) فارسل رسالة الى امراء ارمينيا يطلب منهم فرض جزية مضاعفة على المسيحيين هناك " عندما تعلمون بأمرنا هذا نحن الالهة الاخرين فعليكم ان تقبضوا على سيمون رئيس النزاريين(النصارى)[٣]، ولا تطلقوه ما لم يوقع هذه الوثيقة ويقبل ان يجمع جزية وغرامة مضاعفتين يؤديهما الينا من كل النزاريين الذين يعيشون في بلاد قداستنا والذين يسكنون اراضينا لاننا نحن الالهة الاخرين ليس لنا غير متاعب الحرب وهم ليس لهم غير الراحة واللذات، انهم يسكنون بلادنا ويشاركون قيصر عدونا المشاعر"[٤].

---

[١] كريستنسن، ايران، ص ٢٥٢.

[٢] مجموعة من المستشرقين، تراث فارس، ص ٥٥ ؛ البير ابونا، تاريخ الكنسية الشرقية، المطبعة العصرية(الموصل:١٩٧٣)، ص٣٧ ؛ S ykes , Ahistory of Persia ,VOL. 1, P. 414

[٣] هو سيمون برصباعي،جاثليق المسيحيين في الدولة الساسانية ايام سابور الثاني،البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص٤٠.

[٤] كريستنسن، ايران، ص ٢٥٤ ؛ Sykes , Ahistory of Persia , VOL. 1, P. 415

يتبين من هذا النص ان المسيحيين الذين كانوا يعيشون في الدولة الساسانية لم يشاركوا في الحروب التي وقعت بين الساسانيين والروم، ولكنهم كانوا موالين للساسانيين لانهم كانوا يتمتعون بحرية ممارسة طقوسهم الدينية، ولكن بعد اعلان الدولة الرومانية الدين المسيحي ديناً رسمياً لها بدأ الملوك الساسانيون يخشونهم لان ما هو مؤكد ان ولاهم سيتحول للامبراطور الروماني الذي يشاركهم العقيدة، وهذا واضح في وصف سابور لهم في رسالته(انهم يسكنون بلادنا ويشاركون قيصر عدونا المشاعر).

ولما رفض سيمون اوامر سابور الثاني، اشتط غضباً وبدأ باضطهاد كبير للمسيحيين في دولته عرف فيما بعد بالاضطهاد الاربعيني[١]، الذي بدأ حوالي سنة ٣٤١م وانتهى بوفاة سابور الثاني ٣٧٩م[٢]، وقد استغل رجال الدين الزردشتي غضب الملك على المسيحيين وبدأوا باثارته ضدهم بقولهم: " اننا لا نستطيع ان نخدم الشمس، ولا نطهر الهواء والماء، ولا ان ننظف الارض بسبب النزاريين الذين يسبون الشمس ويحتقرون النار ولا يحترمون الماء"[٣]، فاعتقل سيمون وجماعته ووضعوا في السجن ثم عرضوا على سابور وطلب منهم السجود للنار لكنهم رفضوا ذلك فامر بقتلهم، واصدر اوامره باعتقال رجال الدين المسيحي ولاسيما الذين يعيشون في المناطق الشمالية المتاخمة للامبراطورية البيزنطية على اعتبار ان هؤلاء كانوا يعملون لصالح الروم البيزنطيين[٤].

وفي بداية عهد يزدجرد الاول(٣٩٩ . ٤٢١م) تحسنت اوضاع المسيحيين بشكل ملحوظ اذ امر بايقاف اضطهادهم وسمح لهم سنة ٤٠٩م بترميم كنائسهم المدمرة ووافق سنة ٤١٠م على عقد مجمع كنسي لهم انتخب فيه اسقف سلوقية

---

[١] عرف بالاضطهاد الاربعيني بانه استمر اربعين سنة تقريباً.

[٢] البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٩ . ٤٠ ؛ Sykes , Op. Cit , VOL. 1 , P. 415

(3) Ma ry Boyce Zoroastrians,Their Religious Belefs and Practices,(London: 1979),P. 39.

[٤] البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص٤٠ وما بعدها.

رئيساً اعلى للكنيسة الفارسية ومنح لقب جاثليق مما ادى الى تحسن العلاقات بين الدولة الفارسية والامبراطورية البيزنطية[١].

الا ان رجال الدين المسيحي استغلوا الحرية التي منحها اياهم يزدجرد الاول وبدأوا بحملة تبشيرية واسعة داخل الدولة الساسانية، كما اقدم احد قساوستهم على تدمير معبد نار زردشتي في مدينة هرمز اردشير[٢]، عندها ضج رجال الدين الزردشتي من هذا الفعل وضغطوا على يزدجرد من اجل معاقبة المسيحيين، فطلب احضار قساوسة تلك المدينة وامر بقتلهم، وتلا ذلك حملة من الاعتقالات[٣].

وفي مطلع القرن الخامس الميلادي حدثت انشقاقات مذهبية كبيرة بين اتباع الديانة المسيحية بسبب الاراء التي جاء بها نسطوريوس[٤] البطريرك العام للامبراطورية البيزنطية، الذي اكد على ان للسيد المسيح ﷺ طبيعتين، فهو اله تام وانسان تام في آن واحد، وان الذي قتل وصلب هو الانسان وليس الاله، ولكن الامر الذي جعله مهرطقاً في نظر المجالس الكنسية قوله ان السيدة مريم هي ام الانسان وليست ام الاله[٥]، وان الله لم يولد فلا يجوز ان نقول انه تألم ومات، وقال ايضاً: " انني لاخجلن من ان ادعوا طفلاً ابن شهرين او ثلاثة الهاً"[٦].

---

(١) اسد رستم، الروم،ج١، ص١٨؛البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص٥٣. ٥٤.

((2Boyce , Zoroastrians , P. 121 ; R. C. Zaeher , Zurvan Azoroastrlan Dilemma ,(Oxford: 1955) , P. 39.

(٣) البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٦٠.

(٤) ولد في مدينة جرمانيقي في سوريا سنة ٣٨١م،ودرس اللاهوت وصار راهباً، وفي عام٤٢٨م اصبح بطريركاً على العاصمة البيزنطية(القسطنطينية)، وبسبب ارائه الجريئة عل ثم نفي الى الواحة الكبرى في قلب الصحراء الليبية،وبقي حتى توفي هناك سنة ٤٥١م، البير ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية،ص٦٨ .٧١.

(٥) ابو محمد علي بن احمد بن حزم،الفصل في الملل والاهواء والنحل، دار الندوة الجديدة(بيروت:١٣١٧هـ)،ج١،ص٤٩؛فاسيلي فلادمير بارتولد، تاريخ الحضارة الاسلامية، ترجمة:حمزة طاهر، دار المعارف(القاهرة: ١٩٦٦)، ص ٤٨.

(٦) سويربوس يعقوب توما، تاريخ الكنيسة السريانة الانطاكية، دار الكتب(بيروت:١٩٧٥)، ص ٣٦.

فحدث انشقاق داخل الامبراطورية البيزنطية وكثر اتباع نسطوريوس ومؤيدوه، الا انهم تعرضوا الى اضطهادات كبيرة ولاسيما في عهد الامبراطور زينون فلجأ اغلب النساطرة الى الدولة الساسانية فافاد الملك فيروز(٤٥٩ . ٤٨٤م) من هذا الانشقاق وقبل بالنساطرة كلاجئين سياسيين في دولته من اجل ضرب القاعدة الدينية للامبراطورية البيزنطية[١]، وقد شجع الملوك الساسانيون هذا المذهب لانه يعارض مذهب الروم الرسمي(الكاثوليكي) فانتشر مذهب النساطرة في بلاد ايران والبلاد الخاضعة للحكم الساساني[٢].

وفي عهد بلاش(٤٨٤ . ٤٨٨م) عقد مجمع كنسي في سلوقيا اتخذ فيه قرارات عدة كان اهمها اعتماد الاراء النسطورية كمذهب رسمي للمسيحيين المقيمين في الدولة الساسانية، وسمح لرجال الدين المسيحي بالزواج وحرم فرض الرهبنة قسراً، وقد لاقت هذه الخطوة الترحيب من رجال الدين الزردشتي لان الزواج عندهم فرضاً اساسياً في الديانة الزردشتية، وكان اول من تزوج برصومة مطران نصيبين الذي كان مقرباً من الملك[٣].

ولزيادة الشقاق بين مسيحي الدولة الساسانية والامبراطورية البيزنطية سمح ملوك الفرس بانشاء مدرسة للقساوسة في نصيبين اثر قرار الامبراطور زينون باغلاق مدرسة الرها التي اصبحت مركزاً للتعاليم النسطورية[٤]، واستخدمت اللغة الفارسية في اداء طقوس العبادة[٥].

---

[١] سويربوس يعقوب توما، تاريخ الكنيسة السريانة الانطاكية، ص ٢٣٨.

[٢] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، مكتبة المثنى(بيروت، بغداد: ١٩٧٦)، ج٢، ص ٦٢٩ ؛ بطرس نصري الكلداني، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، دار الاباء الدومنكيين(الموصل: ١٩٠٥)، ج١، ص ١٣٧.

[٣] كريستنسن، ايران،ص٢٨٣؛سويربوس يعقوب توما، تاريخ الكنيسة السريانة الانطاكية، ص٩٣وما بعدها.

[٤] كريستنسن، ايران، ص ٢٨٣.

[٥] بارتولد، تاريخ الحضارة، ص ٤٩.

وعلى هذا اصبح للمطارنة والجثالقة النساطرة مكانة مرموقة في البلاط الساساني وكان ملوك الفرس يطلبون من الجثالقة الخروج معهم اثناء فترات الحروب مع الامبراطورية البيزنطية، كما فعل كسرى انو شروان مع الجاثليق حزيقيال الذي كان يصطحبه في حروبه مع البيزنطيين، وهذا يدل على تشريف الملوك الساسانيين لهؤلاء الجثالقة باختيارهم لمرافقة مواكبهم، واستمرت هذه العادة كنوع من التكريم لهم(١).

ويبدو ان الهدف الحقيقي من هذه المصاحبة هدف سياسي موجه ضد الامبراطورية البيزنطية بوصف المسيحيين الموجودين في الدولة الساسانية على ولاء تام للملك الساساني في حربه ضد الامبراطور البيزنطي الذي يشاركهم العقيدة.

ان فشل محاولات رجال الدين الزردشتي في استمرار اثارة الملوك الساسانيين ضد المسيحيين يدل على انفراج نسبي في تعصب البلاط الساساني للديانة الزردشتية التي هي الديانة الرسمية للدولة، ويتبين ذلك من خلال رسالة هرمز الرابع(٥٧٩ . ٥٩٠م) الى رجال الدين الزردشتي عندما طلبوا منه قتل المسيحيين الموجودين في دولتهم فاجابهم: " كما انه لا قوام لسرير ملكنا بقائمتيه المقدمتين دون قائمتيه المؤخرتين فكذلك لا قوام لملكنا ولا ثبات له مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى واهل سائر الملل المخالفة لنا فاقصروا عن البغي على النصارى وواضبوا على اعمال البر ليرى ذلك النصارى وغيرهم من اهل الملل فيحمدوكم عليه وتتوق انفسهم الى ملتكم "(٢).

لقد كانت الديانة الزردشتية ديانة غير تبشيرية ولا تعتمد على اسلوب الاقناع، بل كانت مفروضة من البلاط الساساني على المجتمع الفارسي،فضلا عن ذلك الصعوبات والتعقيدات الكبيرة في ممارسة وتطبيق الطقوس الدينية التي لا يمكن اجراء اغلبها دون الاعتماد على رجال الدين، كل ذلك جعل المجتمع الفارسي في

(١) بطرس نصري الكلداني، ذخيرة الاذهان، ج١، ص ١٧٢.

(٢) كريستنسن، ايران، ص ٤٢٦ ؛ Boyce , Zoroastrians, P. 141.

حالة نفور داخلي من هذه الديانة وبالتالي كان على استعداد لتقبل أي ديانة ذات تعاليم ابسط واسهل فهماً وتطبيقاً.

وقد ادى عجز الديانة الزردشتية ورجال دينها في التأثير الروحي على الفرد الفارسي، وعجزهم عن تقديم الحجج المقنعة لاسيما فيما يتعلق في بعض امور العقيدة الى الانهيار التدريجي لهذه الديانة، ويمكن القول انها كانت من اهم الاسباب التي ادت الى انهيار الدولة الساسانية بوصفها القاعدة الدينية لهذه الدولة، وذلك يفسر الاقبال الشديد لدى الفرس على المسيحية ثم على الاسلام.

Abstract

The Effect of Religion on Policy in Sassanid State 224-651 A.D.

Dr. Nāif Al-Mitiuty*

Religious beliefs palyed a great role in the different nations and states up till the present time . This role springs from the idea that religion has a sprirtual control on the mind. Similarly, peolpe dersperately need the concept of believing in God to whom they may return in the dilemas and disasters. Similarly religion has a role in shaping the policy of the states. It is to be noted that the Persian state is the most state that is affectted by religion as far as its policy is concerned.

The present paper deals with the role of ancient religions like Zoroastrianism and Mazdaism in shaping he outline of the old Persian state, namely, during the period 224 -651 A.D.

* Dept. Of History-College of Arts /University of Mosul.